أسئلة أجاب عنها الشيخ أبو يحيى الليبي -رحمه الله- وهي أسئلة مهمة ومفيدة أنصح إخواني بقراءتها ومدارستها ونشرها فيما بينهم ليكونوا على بينة من أمرهم ودعوتهم، واقتبست السؤال وجوابه من: [اللقاء الثاني لمؤسسة السحاب مع الشيخ بعد النجاة من سجن باجرام].

مراسل مؤسسة السحاب:

أشرتم سابقاً إلى أن قضية التراجعات هي جزء من منظومة حرب الأفكار التي تشن ضد المجاهدين فهل يمكن أن تبينوا لنا أهم محاور هذه الحرب وبعض الوسائل المستخدمة فيها؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

أدرك الصليبيون وعلى رأسهم أمريكا ومِن ورائها أذنابها بالطبع أن الجهاد ليس كما كانوا يتصورونه هو مجرد عمليات عسكرية عابرة لا تعدوا دوافعها أن تكون ردات فعل للواقع المرير الذي يشعر به المجاهدون تجاه أمتهم، ولا هو فقط محاولة لرفع معاناة اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية بحيث يمكن امتصاص ذلك الفوران ببعض الترقيعات الإصلاحية لتخدير الأمة ومن ثم العودة لإجراء العمليات الجراحية التي يتم بها تقطيع أوصالها من غير أن تشعر، كلا! وحيث توصلوا لهذه الحقيقة نشطوا في فتح جبهات جديدة ضد المجاهدين وتعتمد على محورين:

الأول: محور التفكيك الداخلي للجماعات الجهادية بل للمنهج الجهادي ككل، فبعد احتكاكهم بالمجاهدين واطلاعهم على كثير من تفاصيل أفكارهم التي توصلوا إليها من خلال ما يدونه المجاهدون في أدبياتهم أو يلقونه في كلماتهم أو من خلال المناقشات التي تحصل بين الحين والحين داخل مكاتب التحقيق وراء القضبان بعد هذا كله علم هؤلاء أن الأمر أكبر وأعمق من أن يكون مجرد فرقعات هوائية أو ردود أفعال مؤقتة أو انعكاسات مجردة لمعاناة متداخلة، وأدركوا أن الجزء الأكبر من المعركة يكمن في القناعات الراسخة، والمنطلقات العقدية المنهجية التي يتبناها ويتعامل من خلالها المجاهدون والتي تعد المحرك والدافع الحقيقي لهم فيما يقومون به من أعمال ضد هذه الدول الكافرة وأحزابها، ومن هنا فكروا وقدروا ثم نظروا ثم فكروا وقدروا فتوصلوا إلى أن جزءاً كبيراً من المعركة يعتمد على خلخلة القناعات التي يبني عليها المجاهدون مسيرتهم والتشكيك في المنطلقات العقدية التي يعد أكثرها من المسلمات عندهم، وبهذا يحدث تصدع وربما انهيار للمرتكزات والقواعد الأساسية التي يقوم عليها المنهج الجهادي، ونحن نعلم أن التذبذب و التردد والاضطراب العملي هو انعكاس وتعبير عن

التذبذب والتخلخل والغبش العقدي والمنهجي، فهذا هو المحور الأول الذي تنطلق منه فكرة حرب الأفكار الموجهة ضد المجاهدين والتي صارت جزءاً أصيلاً من المعركة الصليبية العارمة.

أما المحور الثاني: فهو محاولة عزل المجاهدين عن الأمة ومحاصرتهم داخلها واعتبارهم جسماً غريباً ناتئاً داخل المجتمع الإسلامي يجب استئصاله، لأننا نعلم أن المجاهدين ما هم إلا جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية ديناً وعقيدةً وانتماءً.

فإن استمرار هذا التصور وما يترتب عليه من قضايا عملية يعني تواصل تدفق المد الجهادي وانتعاشه من خلال احتضان الأمة له وشعورها واقتناعها بأنه امتداد لجهودها ودعمها بشرياً ومعنوياً واقتصادياً، فيريد الصليبيون وضع حواجز وموانع تحول بين الشعوب المسلمة وبين هذا الفهم والشعور بحيث تصبح كل القضايا التي يطرحها المجاهدون لا تعبر عن ضمير الأمة وعقيدة الأمة ونظرة الأمة وإنما هي أفكار شاذة منبوذة محصورة في طائفة صغيرة تتصرف بعشوائية وارتجالية وبهذا يصبح المجاهدون في طوق مغلق والتآكل يأخذهم من الداخل فلا يلبثون أن يتلاشوا و ينتهوا.

مراسل مؤسسة السحاب:

وحسب نظرتكم ما هي الوسائل التي يمكن أن يستخدمها الصليبيون لتحقيق هذا الهدف؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

أولاً: أقول وبكل اطمئنان وإيمان أن هذا الهدف بمجموعه وشموله لن يتحقق، ويقيننا في ذلك لن يتطرق إليه أدنى شك، لأن ما يسمى بالقناعات أو المنطلقات هي عبارة عن أصول وأسس شرعية مبنية على أدلة شرعية ناصعة لامعة، والتي هي جزء من الدين الإسلامي الذي تكفل الله بحفظه وبقائه ولو كره الكافرون، كما أنه أصول الطائفة المنصورة الظاهرة على عدوها إلى قيام الساعة.

نعم قد يكون لهذه الحرب "الفكرية" تأثير على بعض الأفراد وربما الجماعات وقد تحدث شيئا من الاضطراب والتشويش في بقعة من البقاع، أما أن تقود إلى استئصال المنهج الجهادي استئصالاً كاملاً وإماتته إماتة لا قيام له بعدها فهذا ما لن يحدث أبداً إن شاء الله.

وعودة إلى سؤالك المتعلق بالوسائل التي يستخدمها أعداؤنا في حربهم الفكرية فأقول:

إن هؤلاء الأعداء ليست لهم في حروبهم أخلاقيات يقفون عندها ومن ثم فليس لهم لبلوغ غاية النصر وسيلة ينضبطون بها ولا يتعدونها إلى سواها فالكذب والاختلاق وبث الإشاعات وارتكاب

أقذر الأفعال وأخسها كلها عندهم من الوسائل التي لا تنفك عن حربهم طرفة عين ولكن حينما نتحدث عن الحرب الفكرية فإنها فيما يظهر لي يمكن ذكرها في عدة نقاط أساسية:

الأولى: الإعلان عن تراجع بعض قيادات المجاهدين داخل السجون وتخطئتهم لأنفسهم فيما كانوا عليه وإشهار نصائحهم لإخوانهم للتخلي عن الطريق الذي يسيرون فيه، والإعلام حاضر بقوة في هذه العملية لإجراء اللقاءات ونشر مقالات وكتب التراجعات وتضخيمها والتهويل من شأنها وإظهارها على صورة مسلّمات غير قابلة للنقاش والأخذ والرد وقد تحدثت عن هذه النقطة سابقاً وذكرت لك الأسس الصحيحة للتعامل معها.

الثانية: اختلاق بعض الأكاذيب المنفرة أو التضخيم والنفخ في بعض الأخطاء التي لا تخلو منها ساحة جهاد واعتبارها انحرافات لصيقة بالمنهج الجهادي وجزءاً لا يتجزأ منه وتوسيع دائرتها لتكون حُكما عاماً يشمل جميع الجماعات الجهادية وفي كل ساحات الجهاد.

مراسل مؤسسة السحاب: يا شيخ لو تعطينا مثال.

الشيخ أبو يحيى الليبي: مثل القول بأن المجاهدين يكفرون الأمة ويكفرون علماءها ويستحلون دماءهم وأموالهم وتصويرهم على أنهم شرذمة قليلون خارجون عن القانون ومشاقون لسبيل المؤمنين وأن أفكارهم أفكار غلو وتطرف وتشديد وانغلاق وغلظة لا تمت إلى رحمة الإسلام وسماحته ورفقه بصلة ومن طرائف ما سمعته هنا قول بعض من يسمون بالمحللين والخبراء بالجماعات الإسلامية: "إن دستور تنظيم القاعدة ينص على قتل كل من يخرج عنها"! ونحن نقول لهؤلاء المفترين الذين لا يستحيون من الكذب الفاضح هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، أرونا هذا الدستور الذي اطلعتم على هذه الفقرة فيه ونحن نتكفل لكم بنشره على أوسع المستويات وعلى كافة الأصعدة، فتنظيم القاعدة وقادته أسمى وأرقى وأنقى من أن يتنزلوا إلى هذا الحضيض المنتن من السفاسف، فهم ليسوا أصحاب أعمال عشوائية ولا أفعال ارتجالية ولا مصالح وهمية وقتية ولا يخبطون في سيرهم وسيرتهم خبط عشواء وإنما هم يقيمون منهجهم على الدليل الشرعي الواضح والقواعد الإسلامية الراسخة والمحكمات العقدية القاطعة ومعالم مسيرتهم يدركها كل أحد بشرط واحد وهو أن يكون متجرداً في البحث عن الحق والحقيقة و لم تعمه العداوة أو الحسد أو الجهل المطبق.

و من الوسائل التي أشرنا إليها أيضا التركيز على مسائل اجتهادية سلكها المجاهدون بناءً على اجتهاد شرعي وحاجة واقعية، وجعلها محوراً في النقد واعتبارها خطأً فاحشاً قطعا لا مجال لتصحيحه ولا لقبوله بل والتوصل من خلاله إلى إصدار أحكام ظالمة بلا تثبت ولا روية ولا برهان، وأبرز الأمثلة

على ذلك التفجيرات العامة التي يستهدف فيها المجاهدون أوكار التشريع الكفري ومراكز الإجرام الاستخباراتي والثكنات العسكرية وغيرها كما حدث في الجزائر وقبلها في جزيرة العرب، فتصور تلك الأعمال المباركة على أن المقصود الأول بل ربما الوحيد هم عوام الناس وضعفتهم ويتخفى الإجرام المستهدف والردة المغلظة وراء مشهد يحرك العواطف ويثير العواصف تتناقله وسائل الإعلام بعضها عن بعض.

الثالثة: ومن أعظم الوسائل المستخدمة في الحرب الفكرية إصدار الفتاوى أو بالأصح استصدار الفتاوى التي تجرم الجهاد والمجاهدين وتصفهم بمصطلحات شرعية معروفة منفرة كقطاع الطرق والخوارج بل القرامطة والغلاة وغيرها، و تلصق بهم تهم العمالة والخيانة، وقد أتقن هؤلاء المفتون تحريف النصوص واعتادوا ليّ أعناقها بل لا بأس بكسرها أحيانا إن أبت المطاوعة بل وأصبحت الدول تكوّن لجانا خاصة من المشايخ لمناقشة المجاهدين المقهورين وراء قضبان السجون كما يحصل في جزيرة العرب إتباعا لسنة الحكومة المصرية، فقل لي ماذا تنتظر من شخصٍ يرى السيف فوقه والنطع أمامه والشيخ يلقنه الحجة والبرهان على وجوب طاعة السلطان؟! ولطالما دعا المجاهدون وعلماؤهم للمناظرة العلنية المفتوحة من غير شرط ولا قيد فهلا قبلها هؤلاء العلماء وواجهوا الحجة بالحجة قبل أن تكون الأيدي في القيد.

وزيادة في محاصرة المنهج الجهادي من قبل العملاء في المنطقة هناك مساعٍ حثيثة وجهود متواصلة لتقنين مصادر الفتوى وتحريم وتجريم من يحاول الخروج في الإفتاء أو الاستفتاء عن القنوات التي سيعينونها، ولتكون مهمة تلك القنوات الرسمية التسبيح بحمد الطغاة والتطبيل لهم والتسويغ لقبائحهم، وفي المقابل الطعن في المجاهدين وإثارة الشبهات حول أفعالهم وإصدار الفتاوى الحازمة ضدهم.

الرابعة: تقوية ودعم بعض المناهج التي تتبناها الحركات الإسلامية البعيدة عن الجهاد، لاسيما ذات المنهج الديمقراطي وجماعات تمييع وتطويع النصوص وتذليلها لتوافق حضارة الغرب وثقافة الغرب ومناهج الغرب، وإظهارها في مظهر البديل المعتدل المتزن المتعقل المتحضر، ومن ثم دفع هذه الجماعات للمواجهة الفكرية مع الجماعات الجهادية، وتغذية تلك المواجهة وإشغال المجاهدين بها وهي إحدى خطوات عزل المجاهدين داخل المجتمعات ووضعهم أمام سيل جارف من الأفكار والمناهج التي تجد دعماً وتقوية ونشراً من جهات متعددة حتى إذا انتهت مهمة تلك الجماعات قلب لها ظهر المِجنّ وستقول بعدها أُكلت يوم أكل الثور الأبيض.

الخامسة: قتل أو أسر أو تحجيم أو تشويه الرموز الجهادية الموجهة والمرشدة وعزلها ومنعها من إيصال صوتها للناس وإخلاء الساحات منهم أو حسرهم قدر الإمكان فبعدها سيصبح المجاهدون بلا مرجعية يثقون بها ثقة كاملة تقوم بتوجيههم وترشيدهم وكشف الشبهات عنهم، وتضبط مسيرتهم بالعلم والفهم والحكمة، فيؤدي ذلك بتدخل بعض من لم ينضج في هذا الطريق نضجاً كاملاً أو من هو مناوئ لهم أصلاً فيبث ما شاء من الأفكار والآراء التي تحدث تشويشاً وغبشاً في الرؤية الصحيحة التي يجب أن يكون عليها كل مجاهد.

السادسة: النفخ في بعض الخلافات الجزئية الاجتهادية التي قد تقع بين المجاهدين وتكبيرها واعتبارها خلافات منهجية عقدية، وابتكار أوصاف وأسماء جديدة لتلك الجماعات بناءً على هذه الاختلافات وجعلها مدخلاً لهم لتسعير نار النزاعات، و إلقاء التهم ونشر الإشاعات ليتوصلوا بذلك إلى انقلاب الاختلافات من جزئية اجتهادية قابلة للنظر إلى تصويرها على أساس أنها خلافات منهجية عميقة متضاربة تصنف على أساس الجماعات هل هي معتدلة أم متوسطة أم متطرفة، ولا شكَّ أن الأجواء إذا بلغت هذا الحد من التوتر صارت محضناً محفوظاً وملاذاً آمناً للمرجفين والمخذلين والمثبطين، وصار الباب مفتوحاً على مصراعيه للطعن والتشكيك وإثارة التهم والرمي بالإفك، وعندها مهما حاول المجاهدون بيان الحق وكشف اللبس والرد على التهم فسيكون صوتهم كصوت المبحوح وسط آلاف الناس الذين يصرخون بصوت واحد، هذا الصوت التي تمثله اليوم وسائل الإعلام بلا استثناء، والله المستعان!

وأنا أقول: إن ما يسميه هؤلاء الأعداء بحرب الأفكار ويحسبون أن هذا شيء جديد قد ابتكرته عقليتهم أقول إن عقول صناديد قريش الكافرة ومن حذا حذوهم من ثعابين المنافقين قد سلكوا هذا النوع من الحرب من الأيام الأولى لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي حرب يمكن أن نسميها حرب الطعن و التشكيك والتشويه، فبعد أن قارعتهم الحجة وبهرهم البرهان وعجزوا عن مقابلته وظهر هوانهم أمامهم طعنوا في حامله ومبلغه فقالوا عنه ساحر كذاب وقالوا معلم مجنون أو هو كاهن كما حكى القرآن عن أسلافهم: (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)، و لما لم تفلح هذه الحجة وجعلوا أنفسهم عرضة للسخرية بسبب إثارتها لأن الجميع يشهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وبأمانته وكمال عقله ووضوح بيانه وشمول دعوته استخدموا سياسة التهويش والتشويش واللغط والمهاترة ومنع الناس من الاستماع لصوته والإنصات لحجته وهي حجة المفلسين في كل حين وهو مطابق لما تمارسه وسائل الإعلام المرذولة على اختلاف مشاربها و تنوع أساليبها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ).

مراسل مؤسسة السحاب: ماذا تقصد بمنهج التمييع والتطويع الذي ذكرته؟

الشيخ أبو يحيى الليبي: هذا المنهج مما ابتُليت به أمتنا الإسلامية في هذا العصر، وفُتِن به الكثيرون ممن يُصفون بالمفكرين أو المتنورين أو المعتدلين أو الوسطيين، وحقيقة هذا المنهج هو تمييع حقائق الدين وتطويعها وإخضاعها لِتوافِق أفهاماً ورؤى وقناعات اعتقدها أصحابها خاصة القضايا التي يُستشعر معها مخالفة أو مصادمة لبعض المسائِل التي روج لها الغربيون، فتجد هؤلاء التطويعيين لا يألون جُهداً ولا يدخِرون وسيلة ليثبتوا بها موافقة الإسلام وتطابق أحكامه بل سابقيته لما ذهب إليه هؤلاء الغربيون، وللأسف فإن هذه العدوى قد أصابت كثيراً من علماء المسلمين ودعاتهم حتى صاروا من رؤوس هذه المدرسة هؤلاء العلماء الذين ألقى الله على عاتقهم تبليغ الرسالة ونشرها بين الناس كما هي من غير لبسٍ ولا غِشٍ ولا يثنيهم عن ذلك رغبة ولا رهبة كما قال الله عز وجل: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً).

فمدرسة التمييع والتطويع هذه جعلت كل مسائِل الدين حِمى مستباحاً تقتحمه عقولهم وتلِغ فيه أفكارهم وتتناوله أبحاثهم ولا يحول بينهم وبين ذلك وازعٌ ولا مانع وهي مصيبة عظيمة من مصائبنا العصرية وقد بين القرآن هذه الحقيقة وكشف دخيلة أصحابها ودوافعهم فيما يفعلون وهو الزيغ والانحراف القلبي والذي نلخصه هنا في الافتتان بثقافة الغرب والانجراف وراء فتنة الفكر والنظر فقد قال الله عز وجل: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال: "إذا رأيتم الذين يتّبِعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّاهم الله فاحذروهم".

إذاً ينبغي للمسلم حتى يسلم له دينه ويصون نفسه من الزيغ والضياع في متاهات الضلال أن يحذر من هؤلاء ويُحذِّر منهم وأن لا يغتر بالأسماء والألقاب والشهرة وغير ذلك، فما يقوم به هؤلاء هو تلويث لمصادرنا الإسلامية وتدنيس لمفاهيمنا الخاصة الخالِصة والتي حرِص الإسلام على بقائها باستقلاليتها في مصطلحاتها ومعانيها ومضمونها للحيلولة دون تسرب أي شائِبة تكدر هذا المنبع الصافي، وفي هذا قِصة النبي صلى الله عليه وسلم حينما أتاه عمر رضي الله عنه فقال: "إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: أمُتهوِكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسِعه إلا اتباعي"، وأنت ترى اليوم ما إن يتكلم مفكرٌ أو مثقفٌ غربي ويثْني على شيء مما جاء به الإسلام حتى يُجعل حجة على مِصداقية الرسالة

وكأننا مُفتقِرون إلى مِثل هذه الشهادات والأدهى من ذلك والأمر والأخطر أن الأمر سار بالعكس وهو أن أصحاب هذه الأفكار الفضفاضة صاروا يطوِّعون المعاني الإسلامية لتكون شاهِدةَ صِدقٍ على صِحة كثير من أوجه الثقافة الغربية التي تُصادِم الإسلام مصادمة كاملة في المفهوم كما تُخالِفه في المصطلحات وأنا أرى أننا في حاجة إلى دراسةٍ كافية وافية لأُسس وقواعد مدرسة الزيغ والتلاعب هذه واجتثاثها من أصولها وبيان خطرها على مسلّمات الدين ومدى إفسادها لمفاهيمهم ومباينتها التامة لسبيل تسليم القلب وانضباط الفهم الذي كان عليه السلف والعلماء الراسِخون من بعدهم.

كما أنني أنبه هؤلاء الذين تولوا كبر ترسيخ مفاهيم هذه المدرسة وعاثوا في حقائق الدين فساداً تملقا للغرب الكافر إن هذا لن يرضيه عنكم ويوم خسرانك الحقيقي الكبير حينما تسمعون تصفيق الغرب الكافر لأفكاركم ورضاه عن ثقافتكم فهم يريدون منا الاقتراب منهم بالتنازل عن ديننا شيئاً فشيئاً ونقضنا لعراه عروة عروة، ولا بأس أن يتظاهروا لأجل ذلك ولو مؤقتاً بشيء من المرونة واتساع الصدر ولكن من غير أن يتنازلوا في الحقيقة والواقع عن شيء من عقائِدهم وثوابتهم وأفكارهم كما قال الله عز وجل: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) وقال سبحانه: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ).

فنقول لهؤلاء التطويعيين المميعين لحقائق الدين ما قاله ربنا عز وجل: (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).